# جماليّاتُ التناص القرآني
# في شعرِ محمدرضا الشبيبي ـ قراءةٌ نقديةٌ

الكاتب المسؤول : عبدالوحيد نويدي
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد
تشمران أهواز، أهواز، إيران
دانا طالب پور / جامعة طهران، طهران، إيران

The aesthetics of Qur'anic intertextuality in the poetry of Muhammad Redha Al-Shabibi A critical reading

Abdol vahid Navidi, Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran.
Email: A.v.navidi@scu.ac.ir
Dana Talibpour, PhD graduate in Arabic language and literature from the University of Tehran, Tehran, Iran.
Email: danatalebpour@gmail.com.

## ملخص البحث

التناص أحد المصطلحات التي كرست في القرون الأخيرة لدراسة الكثير من الباحثين، لما يجد فيه الشاعر عطاء فنيا وأدبيا زاخرا يخدمه في التعبير عن أغراضه الشعرية والنفسية ، والتناص الديني أحد الأشكال التي شكلت ركيزة أساسية عند كثير من الشعراء المعاصرين للتعبير عما يلاقون من الأزمات السياسية والاجتماعية والدينية المختلفة التي حدثت في عصرهم ، ومحمدرضا الشبيبي شاعر عراقي كبير سخر قلمه للقضية العراقية ، فأصبح صوتا مدويّا لم يهدأ لما يوجد في مجتمعه من الأمراض والآلام، ففي شعره نماذج كثيرة من أنواع التناصات الدينية خاصة القرآنية التي استلهمها في التعبير عن قضايا المجتمع العراقي، ويسعى هذا البحث إلى الكشف عن أبرز جماليات التناص القرآني بمختلف أشكاله متخذًا المنهج الوصفي التحليلي ، ومن أهم النتائج التي توصل إليها المقال هي أنّ التناص القرآني هو المصدر الرئيسي لتوظيفاته ، وأنّ نماذج التناص المستعملة جميعها جاءت من أجل تحكيم المعنى و الدلالة والإيحاء في تفاعل النص الغائب مع النص الحاضر مع الحفاظ على بنيتها العميقة في تصوير مشاعره وأحاسيسه وأفكاره.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التناص، أشكال التناص، محمد رضا الشبيبي.

## Abstract

Intertextuality is one of the terms that has been devoted in recent centuries to the study of many researchers, because the poet finds in it a rich artistic and literary tender that serves him in expressing his poetic and psychological purposes. Religious intertextuality is one of the forms that formed a mainstay for many contemporary poets to express what they are facing from the various political, social and religious crises that occurred in their era. And Muhammad Reza al-Shabibi is a great Iraqi poet who mocked his pen for the Iraqi cause, and he became a resounding voice that did not calm down due to the diseases and pains that exist in his society. His poetry contains many examples of religious intertextualities, especially the Qur'anic ones, which he inspired in expressing the issues of Iraqi society. This research seeks to reveal the most important aesthetics of religious intertextuality in its various forms, taking the descriptive analytical approach. Among the most important findings of the article is that Al-Shabibi's poems are replete with different types of religious intertextuality and that the Qur'anic intertextuality is the main source of its uses and that the intertextualities used all came in order to arbitrate the meaning, significance and suggestion in the interaction of the absent text with the present text while preserving its deep structure in depicting His feelings, feelings and thoughts.


Keywords: Quran, intertextuality, forms of intertextuality, Mohammad Reza Al-Shabibi.

## ١ – المقدمة

نظرية التناص من إفرازات النقد الأدبي الجديد التى ظهرت في الغرب ومع انفتاح النقد العربي على الثقافة الغربية وفدت إلى البلاد العربية ، وهي تحاول تقصي علائق النص الأدبى بالموروث الثقافي والديني والأدبي[١] ، فالتناص في أبسط معانيه هو "دخول نص ، أو مجموعة نصوص سابقة في علاقة مع نص آخر ينتج عن هذه العلاقة نص جديد يجمع بين سمات النص/ النصوص السابقة وجماليات النص الآني" [٢] .

يعدّ التناصّ من أبرز التقنيات الفنية التي اعتنى بها الشعراء المعاصرون عناية بالغة[٣] ، والتناص القرآني هو استحضار الشاعر بعض الآيات ، أو القصص ، أو الإشارات القرآنية وتوظيفها لتعميق رؤية معاصرة يراها في الموضوع الذي يطرحه ، أو القضية التي يعالجها، ويُفترَضُ في هذه التناصّات أن تنسجم مع النصّ الجديد وتعمّقه وتُثريه فنيا وفكريا، "والتناص والاقتباس والتضمين من التراث أساليب فنية توظف لبلورة الحاضر من تجربة الماضي وتُستَحضر لتعزيز موقف الكاتب من الرؤى والمفاهيم التي يطرحها أو يثيرها في نصه "[٤] .

ويعدّ الموروث الديني خاصة الموروث القرآني من أبرز وأكبر المصادر التي استلهم منها الشعراء المعاصرون موضوعاتهم الشعرية وأسقطوها في أعمالهم الإبداعية ؛ لإرتباطه الوثيق بوجدان الناس، ولتأثيره الكبير في نفوسهم لما له من قدسية ولصق تجارب شخصياته كالأنبياء بحسب اعتقاد أصحابها، فمن بين الاستخدامات التراثية نجد أنّ توظيف النصوص القرآنية في الشعر يعدّ من أنجح الوسائل ؛ وذلك لخاصية جوهرية في أنّ

(١) التناص القرآني في دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة، أعظم محمودي، ٨٧ ، و دراسة انعكاس القرآن في قصائد مجد الإسلام أحمد محرم (دراسة حالة: غزوة بدر – أحد غزوة)، اسماعيلى وردنجانى و آخرون، ٢٤٣.

(٢) جماليات التناص في القصة القصيرة جدا: (روح الحكاية) لمنير عتيبة أنموذجا، أبو المعاطي خيري الرمادي، ١٧٦ .

(٣) التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصر: دراسة ونقد، علي سليمي، ٨٢.

(٤) التناص نظريا وتطبيقيا، أحمد الزغبي، ١٣١ .

هذه النصوص تلتقي مع طبيعة البشر نفسه وهي إنما ينزع الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكره، فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بنصٍّ إلا إذا كان دينيا أو شعريا ، وهي لا تمسك به حرصا على ما يقوله فحسب، وإنّما على طريقة القول وشكل الكلام أيضا، ومن هنا "يصبح توظيف التراث الديني في الشعر تعزيزا قويا لشاعريته ودعما لاستمراره في حافظة الإنسان "[1] .

ومحمد رضا الشبيبي من ضمن الشعراء الذين تفاعلوا مع التراث القرآني ، فقد استلهمه في كثير من قصائده وسار مسار سابقيه ومعاصريه في استلهام بعض النصوص القرآنية وتوظيفها في نصوصه الشعرية ، ويعالج فيها قضايا وطنه العراق ، وآلام شعبه والقضايا الاجتماعية والسياسية ، فيظهر أثر الفكر القرآني في شعر الشبيبي مما يجعل شعره يتَّسم بالاتزان والانسجام ، ويحثُّ الشاعر على مكارم الأخلاق والفضيلة ولايرضى بغير ذلك بديلا ، فظاهرة التناصِّ القرآني في شعر محمدرضا الشبيبي كثيرة إذا قيست بالجوانب التناصية الأخرى التي تتصل بالشخصيات التراثية ، أو التاريخية ، أو الأسطورية التي يحفل بها ديوانه فهو يستعمله على مستوى الكلمة ، أو الجملة والآية ، نظرا لهذه الأهمية في هذه الدراسة نهدف الإجابة عن الأسئلة التالية:

١-١- أسئلة البحث

١- ما مظاهر التناص القرآني وأشكاله في شعر محمدرضا الشبيبي؟

٢- ما دور توظيف التناص القرآني في إغناء قصائد الشبيبي معنى؟

٢-١- أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على مصادر التناص وأنماطه المختلفة في شعر محمدرضا الشبيبي والكشف عما جعله يعبر عن أحاسيسه بالتناص ، فضلا عن ذلك فقد نالت قضية التناص القرآني في الأدب اهتماما كثيرا في الدراسات الحديثة خاصة في الكشف عن السمات الروحية والنفسية للمبدع، فأصبح غرضا شعريا أساسيا يعبر عن تجربة الشاعر.

(١) إنتاج الدلالة الأدبية، صلاح فضل، ٤٨.

١-٣- خلفية البحث

الدراسات التي تناولت محمدرضا الشبيبي كثيرة تتمثل بكتاب ودراسات أخرى جاءت على شكل مقالات في دوريات ، أو في كتب أو رسائل جامعية، منها:

أ – كتاب "الشبيبي في حكمه وامثاله ونماذج من أغراضه الشعرية"، للباحث أحمد حامد الشربتي (١٩٨٦م) ، في هذه الدراسة قام الباحث بتبويب وتصنيف بعض المضامين الحكمية والزهدية والأخلاقية في ديوان الشاعر.

ب – كتاب "محمدرضا الشبيبي ومكانته الأدبية بين معاصريه"، للباحث علي جابر المنصوري (١٩٨٢م).

ت – كتاب "الشبيبي شاعراً"، للباحث قصي سالم علوان (١٩٧٥م).

ث – رسالة "الشبيبي في شبابه السياسي" للباحث علي عبد شناوة التي تحدث فيها الكاتب عن مختلف جوانب حياة الشاعر الفكرية والسياسية.

ج – رسالة "بررسي مضامين ديوان محمدرضا الشبيبي"، أثر نگار دريا آزرم (الجامعة الإسلامية الحرة- فرع طهران مركز: ١٣٩٠هـ.ش) ، في هذه البحوث قام الباحثون بالجوانب المختلفة من الحياة السياسية والثقافية والأدبية للشاعر ومضامينه الشعرية.

ح – رسالة "حياة محمدرضا الشبيبي وآراؤه السياسية والاجتماعية" لمحمدرضا مزرعة (جامعة أصفهان: ١٤٣١ق) تحدث فيها الكاتب عن حياة محمدرضا الشبيبي في مختلف جوانبه ، وناقش آراءه السياسية والاجتماعية من خلال أشعاره.

خ – مقالة "بررسي وتحليل ابعاد فرهنكي مقابله با غرب در اشعار حافظ ابراهيم ومحمدرضا شبيبي"، للباحثين طاهرة حيدري وابوالحسن مقدسي (مجلة ادب عربي دانشكاه طهران: ١٣٩٥هـ.ش) في هذه المقالة قام الباحثان بدراسة وتحليل الجوانب الثقافية التي تساعد على المناهضة مع الغرب في أشعار الشاعر.

د – مقالة "التناص أنماطه ووظائفه في شعر محمد رضا الشبيبي" لعلي متعب جاسم.

مجلة واسط للعلوم الانسانية، المجلد ٥، العدد ١٠، سنة ٢٠٠٩م، جامعة واسط ، هذه المقالة هي أهم بحث كتب حول التناص في شعر الشاعر و تشابه إلى حد ما مع موضوع مقالنا هذا ، تناول المؤلف في هذا المقال الأنواع الأربعة للتناص في شعر الشاعر أي التناص الخارجي، و التناص المرحلي، والتناص الذاتي، والتناص الإيقاعي، والمراد بالتناص الخارجي تناص الشاعر مع مقولات شعرية سابقة ، أو فلسفية ، أو تاريخية ، أو دينية ، أمّا المراد بالتناص المرحلي تناص الشاعر مع مقولات تنتمي لجيل الشاعر ومرحلته الزمنية، والمراد التناص الذاتي هو إعادة الشاعر نفسه في نصوص لاحقة لنصوصه السابقة سواء بصيغ التعبير، أو الإلحاح على بعض المعاني والأفكار، أمّا التناص الإيقاعي فالمراد به الآثار التي يكتسبها نص شعري ما من نص آخر على مستوى الإيقاع والوزن الشعري، ويأتي ذلك عبر طريقة استعمال الوزن وأماكن وجود الزحافات والعلل ونسبتها ، فضلا عن طبيعة القوافي وأنواعها ، كما نلاحظ أنّ كاتب المقال ذكر بعض الأمثلة من المقولات الشعرية السابقة والفلسفية والتاريخية والدينية في النوع الأول من التناص، أي التناص الخارجي، وما يخص بالتناص الديني أقل من صفحتين، وفي الأنواع الثلاثة الأخرى لا يوجد أي ذكر للتناص الديني والقرآني ، فضلًا عن ذلك ، تختلف طريقة معالجة الموضوع في مقالتنا تمامًا عن المقالة المذكورة ، كما ورد في المقال السابق، قام المؤلف بتحليل التناص في أربعة أنواع: خارجية، ومرحلية، وذاتية، وإيقاعية، لكننا في هذه المقالة درسنا ثلاثة أنواع من التناص القرآني فقط نعنى التناص الاستشهادي (بكل أنواعه الكلي والجزئى والمحور)، والتناص الإحالي ،والتناص الإيحائي، و على أية حال، مقالنا يختلف عن المقال السابق من حيث معالجة الموضوع، فضلا عن ذلك، المقال السابق عام و شامل فهو يغطي جميع أنواع التناص، لكن مقالتنا تقتصر على التناص القرآني.

١-٤- منهجية البحث

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي - التحليلي لتذوق النص الشعري في ما يشمل التناص القرآني في قصائد الشبيبي محاولة تحليل دلالتها الموضوعية والفنية، وإبراز

أثره وروعته وتوضيح مغزاه والكشف عن أهمّ المؤثرات التي كوَّنت شخصية الشاعر.

٢- الإطار النظري

٢-١- التناص لغة واصطلاحا

ورد في "لسان العرب" عرض مادة التناص انطلاقا من فعل "نصّ"، يقول ابن منظور: "النصّ رفعك الشيء نصّ الحديث ينصّه نصا وكذا نصّ إليه إذا رفعه، وكلّ ما أظهر فقد نصّ، وتعني أيضا منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها "[١] ، ويقول الزبيدي: "نصّ المتاع إذا جعل بعضه فوق بعض، وتأتي بمعنى الازدحام فتناصّ القوم: ازدحموا "[٢] ، ويقول ابن دريد: "نصصت الحديث أنصّه نصّا إذا أظهرته، ونصصت الحديث إذا عزوته إلى محدثك به."[٣] .

أما التناص اصطلاحا فظهر للمرة الأولى على يد جوليا كريستيفا عام ١٩٦٦م في مجلة (Tel Quel) الفرنسية، وهي ترى أن كل نصّ هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات وكل نصّ هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى[٤]

ولقد تنوع مفهوم التناص بين النقاد العرب والغربيين، حيث وضعوا تعريفات متعددة لهذا المفهوم ، إنّ التناص في النقد العربي الحديث هو ترجمة لمصطلح فرنسي (Intertexte)، حيث تعني كلمة (Inter) في الفرنسية التبادل بينما كلمة (Text) النَصّ وأصلها مُشتقٌّ من الفعل اللاتيني (Texture) وهو متعدد ويعني "نسج" وبذلك يصبح معنى (Intertex-ture) التبادلَ الفنيَّ، وقد ترجم إلى العربية بالتناصّ الذي يعني تحالف النصوص ببعضها البعض، و أشارت جوليا كريستيفيا إلى مفهوم التناص أنَّه قائم على مبدأ تداخل بين النصوص العديدة حيث تشير "أنَّ كل نصّ هو عبارة عن لوحة فسيفسائية مِن الاقتباسات

(١) لسان العرب، جمال الدين بن مكرم ابن منظور، مدخل ن ص ص
(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، مدخل ن ص ص.
(٣) جمهرة اللغة، أبوبكر محمد ابن دريد الأزدي، مدخل ن ص ص.
(٤) تمظهرات التناص في الشعر العربي المعاصر، حبيش خالدية، ٣٧.

وكلُّ نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى."[١]

ولم يتفق المترجمون العرب المعاصرون بعد على تعريب مصطلح التناصّ، فبعضهم يعرّبه (التناصّ) وآخرون (التناصيّة) وفريق ثالث بـ(النُّصوصيّة)، ورابع بـ(تداخل النصوص)، ومع ذلك فإنَّ المصطلح الأوّل (التناصّ) هو الذي شاع وانتشر، بعد أن استفاض الحديث مؤخرا عن المناهج النقدية الأسلوبية والألسنية والبنيوية والسيميائية ... إلخ[٢]

التناصّ تشكيل نصّ جديد من نصوص سابقة أو معاصرة، بحيث يغدو النصّ المتناصّ خلاصة لعديد من النصوص التي تمحي الحدود بينها ، وأعيدت صياغتها بشكل جديد بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها ، وغاب الأصل فلا يدركه إلا ذوو الخبرة والمران [٣].

يرى محمد مفتاح أنّ التناصّ هو تعالق وتداخل نصوص مع نص آخر، ولكنه يشير إلى بعض المفاهيم في النقد القديم كالمعارضة والسرقة والمناقضة [٤]، بينما سمّى محمد بنيس التناص بالنص الغائب ، وعُدّ النص شبكة تلتقي فيها عدة نصوص ، ومن ناحية ثانية فإنّ النص هو إعادة كتابة وقراءة لنصوص أخرى لا محدودة، يمكن أن تحول النص إلى صدى أو تغيير أو اجترار[٥] .

ويتضح مما سبق أن التناص هو أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا ، أو أفكارا أو معارف أخرى سابقة عليه، بحيث تندمج النصوص السابقة مع النص الأصلي مشكّلة نصا جديدا موحدا متكاملا [٦] .

(١) تمظهرات التناص في الشعر العربي المعاصر، ٨.
(٢) الن الغائب: تجليات التنا في الشعر العربي، محمد عزام، ٥٣.
(٣) نفس المدر: ٣٥.
(٤) تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التنا، محمد مفتاح، ١٢١.
(٥) ظاهرة الشعر المعار في الغرب مقاربة بنيوية تكوينية، محمد بنيسي، ٢٥١-٣٦٣.
(٦) التناص نظريا وتطبيقيا، أحمد الزغبي، ٩.

٣- الإطار التحليلي

٣-١- أقسام التناص في شعر الشبيبي

أ- التناصّ الاستشهادي/ الاقتباسي

يمثل هذا النوع من التناص المحور الفعْلي لنصّ ما دخل في نصّ آخر بشكل معْلن ، ويقابل الدرجة العليا لحضور نص في نص آخر حضورا واضحا وحرفيا ، سواء استعمل علامات التنصيص أم لا، مندمجان حتى يغدوان كتلة واحدة غير متشظية ، وإذا كان هذا الملفوظ المستشهد به يبقى على حاله بالنظر إلى دوالّه ، فإنّ تغيير الموقع الذي يتعرض له يحوِّل دلالته وينتج قيمة جديدة، وينتسب في تحويلات تؤثر في دلالة النصّ المستشهد به، والنص المستقبل له معا، عند نقطة الاندماج بينهما، وإلّا فإنّ الأمر لا يعدو أن يكون مجرد تجميع لا مسوّغ له ، ولا رابط يربط بين أجزائه، ليؤدي دلالة مكثفة لعمل واحد مكوَّن من نصوص شتى سابقة عليه أو معاصرة له[١] ، فيوظِّفه الشاعر لرفع مستوى فنّه ، ويلجأ إليه ليمزج نصين مختلفين للخروج بالنصّ إلى نص جديد يحمل سمات جديدة ، تظهر قدرة الشاعر عبره في تحويل النصّ الغائب ليوافق النصّ الحاضر المنتج[٢] ، ويتجلى هذا النوع من التناص في شعر محمدرضا الشبيبي في عدة أنواع:

أ-١- التناص الاستشهادي المحوَّر:

في هذا النوع يجري الشاعر شيئا من التغيير أو التحوير على النص المقتبس من تقديم أو تأخير ، أو حذف أو زيادة في العبارات لتتناسق مع الإطار الرئيسي للقصيدة فيما يساعد على تجلية معناها وإبراز مقاصده.

ففي قصيدة "ثورة على الأتراك" يقول الشاعر:

علَّمتم حِين علَّمتم جوارحهم ... دون العُقول وقلتم: إنهم عقلُوا

لأيِّ شَـيءٍ تَـراهم يُؤثرونَـكم ... والقَوم فيكم وفي أعدائكم هملُ

(١) التناص التراثي في الشعر العربي المعار؛ أحمد العواضي أنموذجا، وال عام حفظ الله، ٧٩.

(٢) التناص القرآني في شعر بشّار بن برد، محمود حسين الزهيري، ٢٥٧.

لا تَأملُوا خفقَانا من قلُوبِهِمْ ... فَإنَّهَا صَفِرات مَا بها أمَلُ
نَجواهم إذ أظَلتْكم عداتُكم ... بالظَّالمين لَنا عن مِثلهم بدلُ
قلوبُكم من ذهابِ الأمر واجِلةٌ ... أمَّا سِواهَا فلا تُخشَى ولا تجِلُ[1]

ففي الأبيات السابقة يبين الشاعر أنّ العثمانيين ليسوا جديرين بالاعتماد عليهم ؛ لأنّهم لا يريدون إصلاح الأمور ولايبالون أي عناية بتحسين أوضاع البلد ، وعلى الشعب أن لا يأمل أملا فيهم ، بل ليس في مواعيد العثمانيين الكاذبة ؛ لأنّهم متساندون مع قوى الأجانب التي ليست تنوي سوى الخديعة ، وهضم حقوق الشعب العراقي ، ويوبخهم (الشعب العراقى) في أنّهم السبب الرئيسي لنهب ثرواتهم وأموالهم فعندما أراد أن يبين هذه الحالة شبَّه العثمانيين بالوحوش ، أو الكلاب ، أو الطيور الضارية التي تصيد لصاحبهنَّ، وقد تربَّت بأيدي الشعب العراقي. فهو عندما أراد أن يبين هذه الصورة في أجمل شكل ممكن قد ألمع بعبارة: (علَّمتم جَوارحَهُم)، حيث فيه إشارة إلى قوله تعالى: (وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ)[2]، فاستعمل الشاعر العبارة القرآنية كاملة مع حذف حرف (في) حتى تتناسق مع ما يريد التعبير عنه فضلا عن ذلك، فإنّ تركيب (علّمتُم جوارحهم) في النص القرآني يشير إلى معنى إيجابي في حياة الإنسان ، وهو أنَّ تربية الكلاب أو الطيور الضارية تخدم الإنسان في حياته اليومية في تأمين حاجاته، لكنه قد جاء في النص الشعري للتعبير عن معنى سلبي، وهو أنّ هذه الكلاب أو الطيور أصبحت وبالا على حياة الشعب العراقي ، وصارت تدمر حياتهم، ففي النص القرآني أصبحت لفظة (جوارح) وسيلة للرحمة ، وجلب الرزق الإلهي أو من إحدى آلاتها، ولكنها في نص الشاعر وسيلة للدمار والعداوة ومصدر الشرّ للإنسان وبين الإضرار والنفع فرق شاسع ، فالشبيبي يستعرض حال العراق التي ترزح تحت نير وطأة العثمانيين والاحتلال ، وأحدث بهذا التوظيف إحالة معنوية مفارقة في معنى الكلمتين، فهو التقط دلالات وإيحاءات استمدها من القرآن الكريم وصاغها في صياغات جديدة تتوافق وتجربته الشعرية ؛ لهذا لم يعتمد على النص القرآني اعتمادا كاملا ، وإنّما غيّر في

(١) ديوان الشبيبي، محمد رضا الشبيبي، ٢٨.
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٤.

البناء اللفظي والدلالي، وبذلك استطاع عبر امتلاكه ثروة لغوية وقدرة عالية على التصرف بمعاني التراكيب والألفاظ ؛ لنقل الآية من سياقها الخاص إلى سياق نصه الشعري للتعبير عن حاله وهمومه.

وفي عبارتي (لا تأملوا خفقانا من قلوبهم) و(نجواهم إذا أظلتكم عداتكم) يبدو إشارة خفية إلى قوله تعالى: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[1]، وهو خطاب يوجه إلى الشعب العراقي يحذر فيه الشاعر بأن لا يخدعوا بمواعيدهم الكاذبة؛ لأنّه ليس يرجى أي أمل في العثمانيين في إصلاح أمور الشعب ؛ لأنّهم قد انشغلوا عنهم بمطامعهم السياسية والقوى الانكليزية جاؤوا للسيطرة على الشعب العراقي ونهب ثرواتهم.

والنموذج الآخر في البيت الأخير من هذه القصيدة في عبارة: (قلوبكم واجلة)، حيث استلهم الشاعر نصّ القرآن الكريم غير متعمد مع تحوير طفيف فيه، حيث استعاض كلمة (واجلة) بـ(وجلة)، وفصل بين الكلمتين بتقديم متعلق (واجلة) أي: من ذهاب الأمر، لتتفق مع الوزن والبناء العروضي للقصيدة وأحدث تناصا إبداعيا مع سورة المؤمنون، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾[2]؛ ليعبر بهذه العبارة عن حالة الخوف التي قد دخلت في قلوب العثمانيين وحلفائها والحالة المأساوية للشعب العراقي آنذاك، والنموذج الآخر لاستخدام هذا النوع نراه في قصيدة "عزلة واغتراب" في الأبيات التالية:

غداً يقفُ الجبّارُ مَوقفَ سائـلٍ ... فيا ليْتَ شِعري ما يَكونُ جوابُه؟
وأسعد خلق الله من جاء في غَد ... قليلاً تَـــقصّيه يَسيْرا حِسابُه
إذا الكُتبُ مِنْ هنّا وهنّا تطايَرتْ ... أيُصْبحُ مُـعطىً باليمينِ كِتابُه؟[3]

في هذه القصيدة يعبر الشاعر عن عزلة واغتراب روحي ينم عن عذاب الروح وحزنه، ثم ما لاقى في حياته من ضروب الظلم والجور في عهود الاستبداد والهزائم من قبل الدول

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٣.
(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٦.
(٣) ديوان الشبيبي، محمد رضا الشبيبي، ١٠٨.

والمتنفذين في الساحات السياسية التي ملأت النفوس بالخيبة والقنوط والتمزق النفسي والضياع الذاتي، فضلا عن فشله في تحقيق الآمال والطموحات مما جعل القنوط يجتاح نفسه ويطيح به في متاهات الغربة والبكاء والحزن حتى يبكي على شبابه ويتحسر على عمره الفائت، ولم يكد يرجع نفسه إلى ربّه وسوف يسأله الله عما صدر عنه ويحاسبه به يوم الدين، فعبارتا (يسيرا حسابه) ، و(معطى باليمين كتابه؟) تتناصان مع سورة الانشقاق، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسابا يسيرا ﴾[1] ، وفيهما إشارة إلى صفات المؤمنين الذين يحسابهم الله في الآخرة حسابا يسيرا ، ويعبرون من الصراط مرتاحي البال غير خائفين ، فإذا أخذ الإنسان كتابه بيمينه، فإنّه يكون من الفالحين، وفي هذه اللحظة يبلغ أعلى درجات السعادة، وكأنّه يريد أن يعلم كلّ الحاضرين في الموقف بهذا الفوز، ويصف لنا القرآن الكريم هذه الحالة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢﴾[2] .

فيحاسب الشاعر نفسه ويؤنبها وينشد التعزية والسلوان في الوحدة والزهادة ، ويسير في سبيله متورعًا متفكرا في يوم القيامة عندما تنشر صحف أعمال الإنسان ، وجاء التناصّ مشابهًا لما ورد في القرآن والحديث تركيبا ومضمونا ومنسجما مع سياق الحديث كأنه جزء من بنيتهما.

أ-٢- التناص الاستشهادي الجزئي :

في هذا النوع يوظف الشاعر العبارات والتراكيب التي توجد في النصوص الأخرى بشكل مجتزئ جزئي ، قد يحدث هذا الاقتطاف دون تعمد مسبق وخلفية ذهنية من قبل الشاعر بمعنى أنّ الألفاظ والعبارات الموجودة في ذاكرة الشاعر تدخل في نصه الشعري من دون وعيه ، ففي قصيدة "طلائع الحرب العامة" يقول الشاعر:

(١) سورة الانشقاق ، الآية : ٧-٨.
(٢) سورة الحاقة ، الآية : ١٩-٢٢.

مُـــكَشَّـرة فَوْهَـاء انْـشَبَتْ بِـنا وبأهْـل الأرض أنيابها الـدُرْدا
لظى نَضِجَت فيها الجلود وعَاذرٌ بجماحها أن ينضج القَلب لا الجَلدا
فَلا حَرُّهَا يُطفا ولا هُوَ يُتَّقى ولا نَارها كانَتْ سَلاماً ولا بَردا[1]

في هذه الأبيات يكشف الشاعر عن آثار الحرب المدمرة ، فهي في نظرته "شوهاء"، "فوهاء" فهي حرب شاملة لا منجى لأحد منها واصفا ويلاتها وشراستها ، فهي حرب تنضج فيها جلود الغامرين فيها من شدة حرارتها ، وتنفذ الحرارة في القلب وتنضجه "فلاحرّها يطفا، ولا هو يتقى" ولا نارها تبرد ، فموضع الاستشهاد في العبارتين (لظى نضجت فيها الجلود)، و(ولا نارها كانت سلامًا وبردًا )، حيث تتناص العبارة الأولى مع الآية ٥ من سورة النساء: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ﴾[2]، حيث جاءت في سياق الحديث عن جزاء الذين يكفرون بما أنزل الله على نبيه ، وكيفية عذابهم يوم القيامة، بأن تحرق النار جلودهم، استعمل الشاعر الآية في المعنى نفسه التي جاءت في كتابه الكريم دون إيجاد أي تحوير، أو تغيير في مضمونها حيث يصف الشاعر نار الحرب بنار جهنم موظفا الآية في نفس ما ورد تركيبا ومضمونا ومنسجما مع سياقه ، والعبارة الثانية تتناص مع الآية ٦٩ من سورة الأنبياء: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[3]، حيث أشير فيها إلى قصة إبراهيم عليه السلام عندما ألقي في النار بإذن نمرود وأصبحت النار بردًا وسلامًا عليه وأثارت دهشة الحاضرين، كما يلاحظ فإنّ الشاعر في هذا البيت قد خلق عبر التحويل الدلالي العكسي للكلمتين (بردا) و(سلاما) تصويرا بديعا عن صورة هذه الحرب ، أي امتصاص النص القديم وتحويل وجهته الدلالية، فامتص الآيات القرآنية خدمة لمعانيها، لكنه أجرى تداخلا جزئيا بين النص الشعري والنص القرآني حيث إنّ توظيفه هنا جاء على وجه المفارقة، أي: (النار) جاء في البيت في جملة خبرية لكن في الآية جاءت في جملة أمرية، ومن جهة أخرى في القرآن الكريم بدأ بـ(البرد) و(السلام)، لكن الشبيبي ألزمه الوزن

(١) ديوان الشبيبي، محمد رضا الشبيبي، ١٥.
(٢) سورة النساء ، الآية : ٥٦.
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٦٩.

والقافية حتى يذكر (البرد) قبل (السلام) دون أن يخرجهما من دلالات النص المستدعى.

ب – التناص الإحالي :

التناص الإحالي أقلّ ظهورا، مقارنة بالاقتباس الذي يعدّ أكثر حضورا وتجليا فهو لا يعلن عن وجود ملفوظ حرفي مأخوذ من نص آخر ومندرج في بنيته بشكل صريح ومعلن، وإنما يشير إليه ويحيل الذاكرة القرائية عليه عن طريق وجود دالّ من دوالّه أو شيء منه ينوب عنه، بحيث يذكر النص شيئا من النصوص السابقة ، أو الأحداث "ويسكت عن بعضها، ويدخل مؤشرات ذاتية مختلفة يتممها بروايات من مصادر أخرى وهو في ذلك ينتقي وينفي، يظهر ويضمر"، ينتقي ما يراه موائما وملائما للرؤية التي يتبناه النص الجديد وينفي ما عداها، فالإحالة –إذن– "مفضلة لما يتعلق الأمر بإحالة القارئ على نص، دون استحضاره حرفيا"، ويكون – بصفة عامة– "أكثر فعالية كلما عالج نصا معروفا، بحيث الاشتراك معه بكلمة أو كلمتين تكفي الإحالة عليه" وإذا سلمنا بأنّ القرآن الكريم هو من أكثر النصوص معرفة، وحضورا في ذاكرة المتلقي المسلم، فإنّ مجرد توظيف كلمة منه ، أو تركيب أو صورة قد تحيل إلى سورة ، أو آية أو قصة كاملة [١]

فعمق المعاني في التناص الإحالي يظهر أكثر من عمقه في التناص الاقتباسي فتفاعل النصوص مع بعضها أدى إلى تفاعل مع الشاعر نفسه، فكل قول يعتمد على أقوال أخرى وكل الأقوال تقال بوجود أصوات أخرى منافسة ومتضاربة [٢] ، فأحال المتلقي عليها ويدلّ التناص الإحالي على اطلاع واضح من الشاعر على القرآن الكريم وفهم معانيه ومراميه ، وتشير إلى قدرة جلية في توظيف التناص الإحالي ممزوجا من آيات ومواضع متفرقة من كتاب الله إحالة مركبة في سياق واحد من شعره [٣] ، من نماذج هذا النوع من التناص نرى

(١) التناص التراثي في الشعر العربي المعار، أحمد العواضي انموذجا، عام حفظ الله وال، ٩٥–٩٦.
(٢) التنا القرآني في شعر بشّار بن برد، محمود حسين الزهيري، ٢٧٠.
(٣) المصدر نفسه ، ٢٧١.

في قصيدة "همّ عليَّ ثقيل هذه الكتب" للشاعر:

يُقَيّضُ اللهُ رزقاً غيرَ مُحتَسَبٍ إذا مَضَى عمَلٌ في الله محتسبُ[1]

ففي هذا البيت يستكشف ويعبر الشاعر عن مضمون ديني ونظرة أخلاقية ، وهو أنّ المال يجب أن ينفق تقربا إلى الله تعالى والله يهب رزقه لمن يفعل ذلك. فكانت نظرة الشاعر إلى المال نظرة دينية، فهو لا يصلح لأن يكون أربا مقدما على الدين وفضائل الأخلاق، وإنّما يريد أن تكون أعمال الخير تطوعا، ويؤمن إيمانا صادقًا ، فتوظيف كلمة (الرزق) وتركيب (غير محتسب) يحيل إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[2] ، فأحدث الشاعر اقترانا جميلا مبدعا بين النص الشعري والقرآني لما كان يختزن من المفردات القرآنية في ذاكرته بشكل موسع ، ففي البيت إحالة خفية إلى المضمون القرآني ففي رؤية الشاعر على الإنسان أن يجلب رضى الله في كل أعماله ، ويجتهد في سبيل رضاه ولا يليق به أن يطلب أجرها وثوابها إلا منه، فالشاعر قد أحدث تزاوجا لطيفا بين النصين، فالمضمون واحد، ففي النص القرآني تهييج وحث على تقوى الله، والله هو الكافي الوحيد لرزق الإنسان وأسبابه بيده ، فقوله: "لا يحتسب" يعني يوسع عليه من الرزق؛ لأنّه هو الرازق وهو المعطي وهو المانع كما قال الله تعالى: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ)[3]، و"تقييض الرزق الذي لا يحتسب" يعني توفيره من مصدر لا يتصوره الإنسان ولا يخطر بباله أبدا، وهذا يتوافق تماما مع جاء في الآية الكريمة ، والنموذج الآخر لهذا النوع جاء في قصيدة "عاذل وعاذر" في البيتين التاليين:

ويا نُوَّماً عنْ عَالمٍ لم تَنمْ بِهِ خُطوبٌ ولم تـرفُقْ بنـا لتُنيمَـا
سُباتُ رقُودِ الكَهْفِ أحْييتُمُوهُمْ وجَدَّدتُـم كَهْفَـاً لـهُمْ ورَقيْمَـا[4]

في هذه القصيدة يتذمّر الشاعر عن الأوضاع الراهنة في ظل الحكومة العثمانية والفتن

(١) ديوان الشبيبي، محمد رضا الشبيبي، ٦٨.
(٢) سورة الطلاق ، الآية : ٣
(٣) سورة فاطر ، الآية : ٣
(٤) ديوان الشبيبي، محمد رضا الشبيبي، ١٠.

الداخلية وخيبة الآمال التي عقدت في العراق عند إعلان الدستور من قبل الأتراك، وذلك سنة ١٣٣١هـ. ش / ١٩١٢م[١] ، تنطوي الأبيات في طياتها على تلك المعاناة النفسية التي تعبر عن تضخم الأزمة الروحية ، وتصور تلك الصورة المأساوية التي تمثل التخلف والانحطاط والقنوط واليأس من تغيير، أو خلق أي إصلاح وتعديل فكري فيها وهي مشحونة بالضياع الذي تعشش في فكرة الشاعر ولا يوافق كليا مع قيمه ومبادئه، فخلقت فجوة عميقة بينه وبين أبناء الدهر خاصة فيما يتعلق بالقضايا السياسية والاجتماعية ، وصار سبب تخلفهم وغفلتهم ويتألم لوجود هذه الحالة وينادي كأن أبناء الشعب لايدركون شيئا، فعبارة (رقود الكهف) ، و(رقيم) تتناص مع الآية ٩ من سورة الكهف، حيث يقول سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾[٢] والآية ١٩ من نفس السورة، حيث يقول: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾[٣]، فأصحاب الكهف قصة تاريخية ورد ذكرها في القرآن الكريم، فهؤلاء الفتية التجأوا إلى الكهف واتخذوه مأوى لهم لعبادة الله وحده ؛ فرارا من قومهم الذين يعبدون غير الله وفرارا من ملكهم فأنامهم الله إنامة ثقيلة ثم أيقظهم من نومهم بعد سنين لحكمة ربانية فجعلهم آية للذين آمنوا ، والشبيبي استعمل رمز (رقود الكهف) و(رقيم) مجردا إياهما من دلالتهما الدينية مضيفا إليهما دلالة معاصرة باستثمار فكرة النوم للتعبير عن دلالة الغفلة ، والتواني والصمت المرير والكهف ورقيم تشبيها بالمجتمع العراقي ؛ لذا كان أسلوب الخطاب مع هذا الرمز أسلوبا هجائيا ساخطا مطالبا بإيقاظ غفلتهم ، وإيقاظ أصحاب العقول النائمة في مجتمعه فهو يشبههم برقود أصحاب الكهف الذين كانت عيونهم مفتوحة في الظاهر، ولكن كانوا نائمين في الواقع وإن كانت أجسادهم تتقلب يمينا وشمالا ، فهو يستفيد من هذه الآيتين بأفضل شكل ممكن؛ للتعبير عما تصبو إليه نفسه من الرغبة في التحقيق الأفضل للمجتمع العراقي وإصلاحه ، ورفض ما ساده من عادات وتقاليد بالية، من نماذج هذا النوع من

(١) ديوان الشبيبي ، ١٠.
(٢) الكهف: ٩.
(٣) المصدر نفسه ، ١٩

التناص نراه في البيتين التاليين من قصيدة "تيتنيك":

يَا بَابِلَ البَحْرِ الخِضِمّ سَحَرْتِنا سِحْراً أَرَى هَارُوْتَ فِي "تَيْتَنِيك"
السِّـحرُ آيَتُكَ الَّتي تُوحِينَـــها أَمْ أَنْـتَ آيتُه الَّتِـي تُـوحـيْكَ؟[1]

ففي البيتين السابقين يشير الشاعر إلى وصف حادثة غرق سفينة تيتنيك فى المحيط الأطلسي، فأوجد بواسطة بعض الكلمات تناصا مع الآية ١٠٢ من سورة البقرة، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[2] ثم ركبهما على (بابل البحر)، ففي (بابل البحر) جمال يشاكل جمال سحر (هاروت) و(ماروت) مما يدل على أن الشاعر شديد الكلف ببابل والتأثر بها ، فهاروت وماروت هما اسمان لملكين أنزلَهما اللهُ إِلَى الأرض وأذن لهما في تعليم السّحر اختبارا لعِباده وامتحانا ، والنموذج الآخر من هذا النوع من التناص يوجد في قصيدة "بين الأدب والأخلاق" في البيت التالي:

أجلٌ إنْ بلغْتَه حَـقَّ مَوْتٌ وَكَذَا الحَقُّ في بلُوغِ النِّصَابِ[3]

عندما يتحدث الشاعر عن حتمية وقوع موت للإنسان يحيل المتلقي إلى مضمون الآية ٤٩ من سورة يونس، حيث يقول سبحانه: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[4] أو الآية ٣٤ من سورة الأعراف: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.[5]

ت- التناصّ الإيحائي :

ويترجم محمد خير البقاعي الإيحاء بالالماح، إذ إنّه "أقلّ الأشكال وضوحا

(١) ديوان الشبيبي، محمد رضا الشبيبي، ١٦٩.
(٢) سورة البقرة الآية : ١٠٢.
(٣) المصدر نفسه ، ١١٥.
(٤) سورة يونس ، الآية : ٤٩.
(٥) سورة الأعراف ، الآية : ٣٤.

وحرفية ... وهو أن يقتضي الفهم العميق لمؤدى ما، ملاحظة العلاقة بين مؤدى آخر، تحيل إليه بالضرورة هذه ، أو تلك من تبدلاته، وهو بغير ذلك لا يمكن فهمه، أمّا الدكتور علي جعفر العلاق فيترجمه بـ"الإشارة كما تعرفه موسوعة الشعر والشعرية ... هو إشارة غير مباشرة إلى أثر أدبي آخر، إلى فن آخر، إلى التاريخ أو إلى شخصيات معاصرة وما أشبه "

ومقارنة بالاقتباس و الاحالة يعتبر التناص الإيحائي أكثر أنواع التناص عمقا، في أنّه يفكك المتناص ، ويعمل على تخريب معماره (التركيبي والدلالي) ويراوغ المتلقي بتخفيه، وعدم ظهوره، من حيث أنّ الإيحاء تقل فيه الحرفية والعلنية، لكن أدنى مجهود من طرف القارئ يمكن أن يوصل إلى إقامة علاقة بين النصّين، الإحالي والنص الموحى إليه، بحيث لا يمكن فهم الأول فهما دقيقا دون إدراك العلاقة بينه وبين الثاني[١] ، وهو أقل ألوان التناص وضوحًا، ففهمه يحتاج إلى عمق في ملاحظة علاقته بالنص الغائب[٢] ؛ لأنّ التلميح أبلغ من التصريح، بل أكثر تأثيرا في بعض الأحيان، ويبدو أنّ الشاعر قد أوجد هيمنة لهذا المستوى من الاقتباس القرآني في شعره ، مكونا لنفسه معجما ثرا فسح المجال أمامه لاختيار ما يناسبه من المضامين المودعة في الألفاظ القرآنية التي لا يعتريها الخمول ولا الاستهلاك، بل إنّها تتجدد مع كل سياق وتوحي بدلالات جديدة تبعا للصياغات النصية التي تحويها[٣]

الشبيبي يوظف التناص الإيحائي في آيات متعددة من قصائده للخروج بمعنى جديد وتقوية لنصه وعلو أدبه ، من نماذج هذا النوع الأبيات التالية من قصيدة "بقاء الأصلح":

الكائِناتُ عَلَى أيادِي ربِّهَا ... تُثني بألْسن حالها وتُسبِّحُ
وأعرضتُ عَنْ شرح الحقائق جَانباً ... حالي كحال حقائقي لا تُشرَحُ
وحبِستُ عنْ أهلِ الغُرورِ نصائِحِي ... غَشَّ الرَّهينَ بجهْلِه منْ يَنْصَحُ[٤]

في هذه القصيدة يتحدث الشاعر عن النظرة الفلسفية الداروينية أي: بقاء الأصلح

(١) التنا التراثي في الشعر العربي المعار؛ أحمد العواضي أنموذجا، عام حفظ الله وال، ١٠٩.
(٢) التنا القرآني في شعر بشّار بن برد، محمود حسين الزهيري، ٢٧٣.
(٣) البنيات الأسلوبية في شعر أحمد الوائلي، علي يونس عودة، ٢٢٤.
(٤) ديوان الشبيبي، محمد رضا الشبيبي، ١١٨.

والأنسب ، ونظرية التطور مستطردا منها استطرادا طريفا إلى الحقائق الكامنة وراء العالم ويصرخ ويتألم من الجهل الذي يحكم على أبناء البشر –خاصة العراقيين– وقبض عليهم وتزويرهم وتحول القيم والمبادئ الأخلاقية لديهم ، ونفسه الحيرانة أمام الفلسفة الوجودية ونقص علمه وعلم البشرية للإحاطة بحقائق العالم ومجهولاته وإلخ.

ففي الأبيات السابقة إيحاء خفي لطيف إلى عدة من الآيات القرآنية ، ففي البيت الأول يستحضر الشاعر باستخدام كلمة (تسبح) وعبارة (تثني بألسن حالها) الآية ٤٤ من سورة الإسراء بشكل غير مباشر، حيث يقول سبحانه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ... ﴾[1] ، حيث يشير فيها إلى قدرة الله العظيمة، واستسلام جميع الكائنات أمامه ، وأنّ الكائنات كلها تشتغل بتسبيح ربها على لسانها الخاصّ، وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ؛ لأنّها بخلاف لغتكم وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد.

وفي البيت الثالث يشكو الشاعر من فقدان شخص يصغي إليه ويفهم ما يقول، فيشعر بالعزلة والضياع الذي جعله يعتزل عن الناس وأبناء المجتمع العراقي، الذين لا يوافقونه في مبادئه وقيمه، وليس أيّ جدوى في الاصطحاب معهم للإبانة عما يدور في نفسه ولا يجادل ولا يعادي معهم ؛ لأنّهم يغوصون في جهلهم وغفلتهم التي لا تزول عنهم أبدا ، ففي تركيب (وحَبَسْتُ عن أهْلِ الغُرُور نَصائِحِي) إحالة خفية طريفة إلى الآية ١٩٩ من سورة الأعراف، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[2] و(أهل الغرور) كناية عن الجاهلين المستبدين بآرائهم الذين منعهم الغرور والتكبر من الاستسلام أمام الحقائق؛ لأن الالتفات إلى أقوال السفهاء وإعطائها وزنًا أكثر مما يستحقها ، قد يؤرق الأذهان ويثير الأحقاد والأضغان والتعب النفسي، والإعراض عن السفهاء والجاهلين من أهم صفات المؤمنين الذي وصف بها الله العباد ، وعلى الإنسان

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤.
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩.

العاقل أن يتخذ من هذا المنهج القرآني دليلًا ومرشدًا في سلوكه مع الناس، حتى يبتعد به من كثير من المتاعب والمصائب، ويرفع عنه مشاكل الأرق والفكر وشرود الذهن، وهذا ما أوصى به الله في قوله بقوله: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً)[1]، والنموذج الآخر يوجد في قصيدة "أوطار وأوطان" في الأبيات التالية:

سَلِ القومَ: ماهذا الشَّقاءُ الَّذي أرَى؟ ... ومَنْ ذا الَّذِي يُنجِي مِنَ الخَطَرِ الدَّاني؟
كَأَنَّكَ تَدْعُو حِيْنَ تَدْعُو حِجَارةً ... وَتَقْرعُ صُمًّا مِنْ صَياخِيدِ صَفْوانِ
فَلَمْ تَلْقَ مِنْهُمْ غَيْرَ غَفلَةِ أَنْفُسٍ ... وَغَضَّةَ أَبْصَارٍ ونَبْوةِ آذَانِ[2]

في هذه القصيدة يحاول الشاعر إيقاظ همم قومه واستنهاض مشاعرهم، حيث يعبر فيها عن شعوره الحزين بالنسبة للقضايا السياسية والإجتماعية التي سادت المجتمع العربي، نتيجة غفلتهم وعدم اكتراثهم بملبيات قائدهم ، ولا ننسى أن التدخلات الأجنبية لأغراض سياسية هي العامل الآخر في بروز الاضطرابات في داخل الحكومة العراقية ، فلهذا نرى الشاعر يتألم لوجود هذه الحالة في مجتمعه، وعندما رأى الناس قد غلب عليهم اليأس، و النوم وفقدوا الأمل في إصلاح الأمور، يصرخ عليهم بحرقة وألم ليوقظهم ، فهو في هذه الأبيات يتحدث مع قومه بإعجاب وحالة استفهام تقريري، حالة الشخص العاجز الذي فقد آماله في إصلاح الأمور ، ففي تراكيب (غفلة أنفس) ، و(غضة أبصار) ، و(نبوة آذان) ، و(الحجارة) التفات وإشارة طفيفة إلى عدة آيات مختلفة من القرآن الكريم، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...﴾[3]، و ﴿ هُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[4]، و ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾[5]، كما نلاحظ أنّ الشاعر قد وظف

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٦٣.
(٢) ديوان الشبيبي، محمد رضا الشبيبي، ٥٠.
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٧٤.
(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٩.
(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٨.

المضامين القرآنية بشكل ترادفي مع التركيب الشعري ، مما أحدث دلالة نغمية جميلة في أبياته، ففي تركيب (قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ) أو (عُميٌ) – إذا نظرنا إلى عماية القلب– الذي استعمله القرآن قد وظف الشاعر معناه الدلالي فتولد عنه (غفلة أنفس) ومن تركيب (أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ) ، أو (عميٌ) فتولد عنهما (غضة أبصار) ومن تركيب (آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا)، أو (صُمٌّ) فتولد عنهما تركيب (نبوة آذان) ، ففيهن إيحاء ظريف دقيق لا يدركه القارئ بسهولة حتى أزاح عنهن الشاعر بما يمتلك من ثروات لغوية ثرة في نصه الشعري نقدا للواقع العربي الذي يعيشه ، فاستغلَّ كثيرا من مفرداته ثم بناها في نصه بناء يوافق المعنى الذي ورد في الخطاب الديني، سواء كان من القرآن أو الحديث ، والإيحاء يكون دلاليا أكثر منه تناصيا حيث تتحوّل الفكرة كسياق إلى كلمة تدل على السياق نفسه، فيختفي النص القرآني من القصيدة في حين أنّ القصيدة تلمح إليه ، والنموذج الآخر البيت التالي من قصيدة "ذكرى شاعر" تليت في مهرجان المتنبى الذي أقيم في دمشق الشام سنة ١٣٣٥هـ . ش(١٩٣٦م):

إذا تَـأمَّلتَ الخُلُودَ أصَبْـتَـهُ في الصَّالحاتِ وحَيْثُ يَفْنَى الفَاسِدُ[1]

فالشاعر قد استحضر باستعمال كلمة (الصالحات) و(الخالدون) الآية ٨٢ من سورة البقرة، حيث يقول: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2]

## ٤- النتائج

من دراستنا لمحتويات القصائد المتناصة للشاعر توصلنا إلى النتائج التالية:

في شعر الشبيبي نماذج كثيرة للتناصات القرآنية، حيث قام بتوظيفها في النص الشعري ويشكل القرآن الكريم مصدرًا من أهم مصادر وأساسيات التناص الشعري عنده من حيث المعاني والدلالات ، ومنهجه في الاقتباس من النصوص القرآنية هو أنّه لم يعمد إلى اقتباسها بكاملها في أكثر الأحيان، بل يأخذ جزءا منها ويدمجها في طوايا شعره ليعبر

(١) ديوان الشبيبي، محمد رضا الشبيبي، ١٩٤.
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٨٢.

بواسطتها عما يريد إبرازه من المعاني ، وإنّ استفادة الشاعر لاستلهام ألفاظ القرآن ليست للزخرفة اللفظية، وإنّما للإيحاء ودوره اللطيف في تفاعل النص الغائب مع النص الحاضر ،عبر تحوير طفيف في النص الرئيسي مع الحفاظ على بنيته الأولية العميقة، وهذا ما يبدو جليا في أكثر تناصاته ويضفي على نصوصه ثراء ، كما يسهم في تقوية نصه وتصوير أفكاره وتجلية أحاسيسه بالنسبة إلى المجتمع الذي يتكبّد فيه أنواعا مختلفة من الهموم والرزايا ، وبحق إنّ تربيته الدينية في النجف من أهم العوامل التي غطّت قصائده بلون ديني قرآني موحيا إليه بوارق جميلة من النصوص القرآنية.

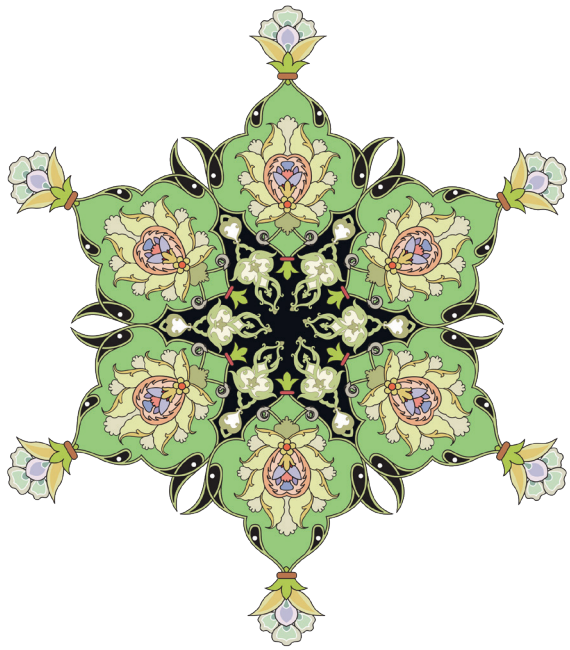

## المصادر والمراجع


١. القرآن الكريم.

٢. إنتاج الدلالة الأدبية، فضل، صلاح، (٢٠٠٢م)، ط ٢، القاهرة، مركز الحضارة العربية.

٣. البنيات الأسلوبية في شعر أحمد الوائلي، عودة، علي يونس، (٢٠١١م)، رسالة الماجستير، جامعة البصرة.

٤. التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصر، دراسة ونقد، سليمي، علي، (٢٠١٢م)، إضاءات نقدية، ع٥، ص ٨١-٩٥.

٥. التناصّ القرآني في شعر بشّار بن برد، الزهيري، محمود حسين، (٢٠١٥م)، المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، م ٢، ع ٢، ص ٢٥٥- ٢٨٥.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (د،ت)، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.

٧. تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناصّ، مفتاح، محمد، (١٩٩٢م)، ط٣، د،م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

٨. تمظهرات التناص في الشعر العربي المعاصر، خالدية، حبيش، (٢٠١٨م)، رسالة ليسانس، الجمهورية الجزائرية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، كلية الآداب واللغات والفنون.

٩. التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، واصل، عصام حفظ الله، (٢٠١١م)، أحمد العواضي أنموذجا، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع .

١٠. التناص القرآني في دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة، محمودي، أعظم، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، المجلد ٢، العدد ٥٩، ٢٠٢١م.

١١. التناص نظريا وتطبيقيا، الزغبي، أحمد، (١٩٩٥م)، إربد، مكتبة الكناني.

١٢. جماليات التناص في القصة القصيرة جدا، (روح الحكاية) لمنير عتيبة أنموذجا، الرمادي، أبو المعاطي خيري، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، المجلد ١٨، العدد ١، الصفحة ١٧٤-١٩٥.

١٣. جمهرة اللغة، ابن دريد، أبوبكر محمد بن دريد الأزدي، (١٩٣٢م)، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والترجمة.

١٤. دراسة انعكاس القرآن في قصائد مجد الإسلام أحمد محرم (دراسة حالة، غزوة بدر – غزوة أحد)، اسماعيلى وردنجانى، مجلة آداب الكوفة، المجلد ١، العدد ٣٩، ٢٠١٩، صص ٣٤١-٣٥٢.

١٥. ديوان الشبيبي، الشبيبي، محمدرضا، (١٩٤٠م)، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

١٦. ظاهرة الشعر المعاصر في الغرب مقاربة بنيوية تكوينية، بنيسي، محمد، (١٩٨٥م)، بيروت، دارالتنوير.

١٧. النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، عزام، محمد، (٢٠٠١م)، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.

١٨. نهج البلاغة.

ألا بذكر الله تطمئن القلوب